الرهبانيـــة النصرانيـــة
دراسة نقدية في ضوء الإسلام

إعـــداد
أميمة بنت أحمد الجلاهمة
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية
جامعة الملك فيصل– الدمام

ملخص البحث

الناظر في التجربة الإنسانية على الأرض يدرك مدى حاجة الإنسان إلى تحقيق التوازن في متطلبـــات كلّ من جسده وروحه، ومدى ضرورة أن يكون هذا التوازن بلا إفراط أو تفريط. والتجربة نفسها تؤكد فشل الإنسان في تحقيق هذا التوازن بعيداً عن منهج الخالق سبحانه وتعالى الذي يتوافق تماماً مـــع طبيعـــة المخلـــوق واحتياجاته.

ولأن الرهبانية في الديانة النصرانية طالت الطبيعة الجسدية والروحية للإنسان، فنظرت إلى الجسد على أنه شرّ محض، وأن الروح خير محض، وجهت هذه الدراسة للبحث عن أصل الرهبانية النصرانية وأسبابها وأهدافها والتشريعات المتعلقة بها، خصوصاً أنها كانت وما زالت مدار جدل في صحة أسسها وشروطها، كما تطلعت هذه الدراسة إلى بيان رؤية نصرانية وأخرى إسلامية للرهبانية النصرانية مدار البحث.

وجدير بالملاحظة بيان أن هذه الدراسة انتهت إلى أن الكنيسة النصرانية على اختلافهـــا تقـــر أن الرهبانية ليست مسألة عقائدية أو إيمانية، كما أنها ليست أمراً واجب التنفيذ. ولم تنكر أن الرهبانية كنظام حياة ظهرت بعد زمن عيسى عليه السلام بعدة قرون، ومن جانب آخر أقرت بأن ظهور الرهبانية النصرانية كـــان نتيجة عدة عوامل؛ منها السياسي والاقتصادي إضافة إلى فساد الكنيسة، كما توقفت الدراسة عند بيان موقف

الإسلام من الرهبانية النصرانية في أيامها الأولى بمعنى الانقطاع للعبادة، والى رفضه ما انتهت إليه من فساد نتيجة غلوّ أفرادها وتشدُّدهم.

كما أوضحت الدراسة موقف الدين الإسلامي من الرهبانية النصرانية، وتوافق موقفه هذا مع الفطرة الإنسانية، وأن الاعتزال للعبادة – الاعتكاف – منصوص عليه في الدين الإسلامي ،إلا أن مفهومه مغاير لمفهوم الرهبانية النصرانية .

المقدِّمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد اقتضت حكمة المولى سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض وما فيهن عند اختياره الإنسان ليكون خليفته على هذه الأرض أن كونه من جسد وروح؛ فطبيعته هذه تؤهِّله لأداء أمانة الاستخلاف كما يجب أن تُؤدَّى؛ فالأرض بترابها جاذبة لجسد محقِّق لجزء مهم من رغباته المادية، والنور جاذب لروح توَّاقة إلى خالقها سبحانه وتعالى، وبالجسد والروح معاً يتحقَّق استخلاف الإنسان وعمارته الأرض.

والناظر في هذه التجربة الإنسانية على الأرض يدرك مدى حاجة الإنسان إلى تحقيق التوازن في متطلبات كلّ من جسده وروحه، ومدى ضرورة أن يكون هذا التوازن بلا إفراط أو تفريط. والتجربة نفسها تؤكد فشل الإنسان في تحقيق هذا التوازن بعيداً عن منهج الخالق سبحانه وتعالى الذي يتوافق تماماً مع طبيعة المخلوق واحتياجاته.قال تعالى:﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير َ﴾{ الملك ١٤}

ولأن الديانة النصرانية كانت أحد الأديان التي اعتمدت الرهبانية نظام حياة، ولأن تعاليم هذه الرهبانية محاطة بالغموض، خصوصاً أنها نظام يطول الطبيعة الجسدية والروحية، فتنظر إلى الجسد على أنه شرّ محض، وأن الروح خير محض، أقول: لهذا ارتأت الباحثة أن تسخِّر هذه الدراسة للبحث عن أصل الرهبانية النصرانية وأسبابها وأهدافها والتشريعات المتعلقة بها، خصوصاً أنها لم تحظ من الباحثين بما تستحقه من عناية مع أهميته وخطورتها.

وتتطلَّع هذه الدراسة إلى بيان رؤية نصرانية وأخرى إسلامية للرهبانية كما وُصفت من قبل المدافعين عنها؛ لعلنا نصل إلى توضيح موقف الدين الإسلامي من الرهبانية، وتوافُق موقفه هذا مع الفطرة الإنسانية، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ {الروم ٣٠}، تلك الفطرة التي كانت السبب في رفض البروتستانت[1] أسس الرهبانية وشروطها.

وجدير بالإشارة هنا أن الباحثة عند عرضها لموقف الديانة النصرانية من الرهبانية لن تتدخل بالتقويم والحكم، إلا إذا عرضت مسألة مهمة تستوجب تعليقاً سريعاً، ومن ثم ستعمد لبيان موقف الدين الإسلامي الحنيف من الرهبانية النصرانية بالدراسة والنقد ملتمسة لكلمة الحق في هذه القضية.

معنى الرهبانية:

الرهبانية في اللغة العربية أصلها من الرَّهبة؛ أي الخوف، يُقال: رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً؛ أي خاف. والرَّاهب هو: المتعبِّد في صومعته الذي يتخلّى طواعيةً عن الانشغال بالدنيا وملاذّها معتزلاً أهلها. والرهبانية منسوبة إلى الرهبنة بزيادة الألف، وهي كالاختصاء، واعتناق السلاسل، ولبس المسوح، وترك اللحم، وما أشبه ذلك مما كانت الرهبانية تتكلّفه[2]. وقد قال الأنبا غريغوريوس: إن الراهب لغةً تعني الخائف من الله، وتأتي بمعنى المتوحِّد؛ أي المنفرد بنفسه الذي يعتزل الناس ليحيا منفرداً من غير زوجة ولا أولاد بعيداً عن المجتمع[3].

وقد فسَّر ماهر يونان عبد الله الرهبنة بأنها "نظام تعبُّدي يختصّ بأفراد أو جماعات من الناس تشتهي الدرجات العليا لحياة الكمال، وتحقّقها بالاعتزال عن ضوضاء الحياة العامة لتنعم بالهدوء الذي يُتيح لها التأمل وفحص الضمير ومحاسبة النفس والتفرغ الكامل للعبادة"[4]. والأرثوذكس[5] والكاثوليك[6] الذين يقرّون نظام الرهبانية يعتقدون أنها "ليست مسألة عقدية، وليست إيمانية، ولكنها تتعلق بالنظام وبنوعية الحياة التي يختارها الإنسان، وهي طريق اختياري وليست أمراً واجب التنفيذ، ولا ترغم الكنيسة عليها أحداً... ومع ذلك فكلّ ما في الرهبنة من قواعد ومبادئ موجود بالكتاب المقدس"[7].

ومع إعلان علماء النصارى أن الرهبانية ليست مسألة إيمانية عقدية واجبة التنفيذ نجدهم في الوقت نفسه يؤكدون أن مبادئها وقواعدها موجودة في الكتاب المقدس. وهذا التناقض سنتطرَّق إليه لاحقاً بالبحث والدراسة بإذن الله.

كما نجد أن بعض النصارى عرَّف الرهبانية تعريفاً يشابه التعريف اللغوي لها، فقال: إنها العزلة الفردية التامة، وإغراق الراهب في ضروب الزهد، والمبالغة في التقشُّف وتعذيب الجسد والصوم، والابتعاد عن ضجيج الحياة، والحرمان من لذيذ العيش، ولبس خشن الثياب، والتبتُّل وعدم الزواج، والعكوف على العبادة[8].

نشأة الرهبانية النصرانية:

يذكر المؤرِّخون النصارى أن مصر النصرانية هي مهد الحياة الرهبانية في العالم، ذاكرين أن الرهبانية القبطية – المصرية باعتراف الجميع هي أساس الرهبانية في العالم المسيحي كله، وهي السائدة في كل أديرة النصارى[٩]؛ فالرهبانية كنظام حياة بدأ يستهوي نفوس النصارى في مصر منذ القرن الثالث لميلاد المسيح، ثم توطَّدت نظمه وتقاليده وطقوسه على أيدي الرهبان الأوائل الذين آثروا حياة العزلة والتبتُّل[١٠]. وسنجد أن بعض علماء النصارى قرَّروا عدم تأثُّر الرهبانية النصرانية كثيراً بالحركات النسكية السابقة عليها كالهندوسية والبوذية وقدماء المصريين[١١].

ويعدُّ الراهب الأنبا أنطونيوس[١٢] المؤسِّس الفعلي للرهبانية النصرانية، وقد وُلد عام ٢٤٥م من أسرة مصرية ثرية، وعندما كان في العشرين من عمره يقال أنه قام بتوزيع أملاكه على الفقراء، ثم اعتزل مخالطة الناس وانفرد في البرية، وسكن بين القبور ملتزماً الزهد، لدرجة أنه كان يمضي ثلاثة أيام أو أربعة في صيام كامل عن الطعام والشراب، ورُوي أنه كان في بعض الأوقات يمدُّ فترة الصيام التام حتى تصل إلى أسابيع عدَّة، وأنه لم يغتسل مطلقاً طوال حياته الرهبانية. وقد استمر انفراده عن الناس عشرين سنة كاملة، ونظراً إلى صبره، احترمه الناس وأشادوا بفضله، وغالوا في هذا إلى درجة أنهم زعموا أن له أعمالاً خارقة؛ كقولهم على سبيل المثال: إنه يشفي المرضى، ويعلم الغيب[١٣].

وبالنظر إلى ما سبق نصل إلى أن النصارى لم ينكروا ظهور الرهبانية كنظام حياة في الديانة النصرانية بعد زمن عيسى عليه السلام، وأن تطوُّرها تمَّ على أيدي الرهبان الأوائل في القرن الثالث الميلادي؛ أي بعد رفع المسيح عليه السلام بقرون. وعليه، فهي لم تكن في بداياتها تعرف أنظمة محدَّدة أو أساليب معينة للحياة الروحية[١٤]، ولم تكن قد اتَّخذت بعدُ شكلها الذي عُرفت به في الأجيال التالية، وإنما كان معتنقها يُسمَّى ناسكاً، وكان ينفرد بعيداً في الصحراء، فيبني له كوخاً أو يبحث عن كهف في الجبل، وينتهج في معيشته هناك النظام الذي يختاره لنفسه دونما نهج معيّن يلزمه[١٥].

أسباب ظهور الرهبانية:

إن الباحث في أسباب ظهور الرهبانية النصرانية سيدرك أنها ظهرت نتيجة عدة عوامل اجتمعت تارةً وتفرَّقت تارة أخرى، كما سيدرك الدور الواضح للسلطة الحاكمة آنذاك في ظهورها، خصوصاً في الفترة التي تعرَّضت فيها الإمبراطورية الرومانية للانحلال الداخلي؛ إذ أصبحت الرهبانية ذات جاذبية للكثيرين ممن اختاروا هجرة مجتمعهم والحياة في الأديرة[١٦].

وإذا أردنا أن نتوقَّف عند أسباب انتشار الرهبانية بين النصارى فسنجد أنها تعود إلى عدَّة عوامل سياسية واقتصادية ودينية، هي:

١- الاضطهاد السياسي:

ظهر الاضطهاد السياسي بداية عندما تعرَّض النصارى لأنواع من الاضطهاد والتعذيب على أيدي أباطرة الرومان، فكان جزاء من تمسَّك منهم بدينه التعذيب والإعدام(١٧)؛ فقد أصدر الإمبراطور دقليديان(١٨) في أواخر عهده عدة قرارات تدعو إلى اضطهاد النصارى، تضمَّنت الأمر بسجنهم، وتدمير كنائسهم، واعتقال مسؤولي الكنائس، وحرق جميع كتبهم المقدسة، كما عُوقب النصارى بنزع ممتلكاتهم ونفيهم أو إعدامهم قتلاً بالسيف أو بإلقائهم للوحوش المفترسة، كما كان يُرسل فريق منهم إلى المعسكرات الرومانية ليعملوا في المناجم حتى الموت(١٩). وقد اختُلف في عدد الضحايا الذين أزهقت أرواحهم ما بين مائة وأربعين ألفاً إلى ثلاثمائة ألف(٢٠). لذا كان اضطهاد النصرانية سبباً واضحاً في فرار أهلها إلى الوديان وقمم الجبال والصحارى(٢١).

وقد تحدث رأفت عبد الحميد عن هذا الأمر فقال: "وهكذا كانت حركة الاضطهادات الهامة والعنيفة التي تعرَّض لها المسيحيون... دافعاً أساسياً... إلى فرار عدد كبير من المسيحيين إلى الفيافي والقفار هروباً بالعقيدة، وخلاصاً للروح... وقد حمل هؤلاء في رحلة الزهد العداء الكامن لسلطان الإمبراطورية"(٢٢). كما قال: "إن الاضطهاد كان هو السبب المباشر لنشأة هذا النسق من الحياة الزهيدة"(٢٣).

ويذكر في التاريخ النصراني أن من بين الهاربين الأنبا بولا السائح الذي هرب إلى صحراء مصر الشرقية بسبب الاضطهاد الروماني، وكان يعتزم في بداية الأمر أن يعود إلى العالم بعد فترة من هروبه، لكنه آثر البقاء في الصحراء(٢٤). إلا أن هذا النهج لم يكن نهج جميع الرهبان الذين خرجوا إلى الصحارى، فبحسب ما ذكر رأفت عبد الحميد "كان هؤلاء قد خرجوا إلى الصحراء هرباً من الاضطهادات التي أنزلها الأباطرة الوثنيون بساحة المسيحيين، فلما انقشعت غمة الاضطهاد عاد بعضهم إلى سابق عهدهم بالحياة"(٢٥).

كما ذكر باحثون أن بعض النصارى ترهَّبن بسبب تحسُّره على فوات ركب التضحية وسفك الدماء، فتطلَّعوا إلى التضحية بمتعهم ودمائهم وأرواحهم في سبيل إيمانهم، ولجأوا إلى الجبال ليعيشوا فيها مبتعدين عن مفاتن الحياة وحياة المدن، ومارسوا هناك تعذيب أجسامهم. يقول جون لوريمر: "إنه بعد انقطاع الاضطهاد تمت الحاجة اللاشعورية عند بعض النصارى إلى نوع من الاستشهاد كما يسمونه؛ نظراً لما رأوه من تقدير واحترام لمن ماتوا شهداء ممن ظلُّوا أحياء بعد العذاب الذي قاسوه. وهكذا نبتت الرهبنة من رغبة للنصراني في أن يكون شهيداً."(٢٦). وهكذا نال الرهبان نفوذاً كبيراً وتأثيراً عميقاً في نفوس جموع نصارى تلك العصور(٢٧). وبالتالي ربما كانت الرغبة في حصولهم على تقدير العامة وإجلالهم سبباً من أسباب انتهاجهم حياة الرهبانية.

٢- أسباب اقتصادية:

ذكر بعض الباحثين أن الاقتصاد من العوامل الأساسية لتفش ظاهرة الرهبانية بين النصارى؛ إذ نظر الباحثون بعين الاهتمام إلى الضرائب الباهظة التي فرضتها الدولة الرومانية على رعاياها بسبب معاناتها الاقتصادية؛ مما دفع كثيراً من العاجزين عن دفعها إلى الهروب للصحراء تاركين خلفهم أراضيهم وأعمالهم وممتلكاتهم. لقد كانت تلك الضرائب عبئاً ثقيلاً على الرعية، وزاد من قسوتها قسوة جُباتها، حتى إن عدداً كبيراً من صغار المزارعين تنازلوا عن أراضيهم لكبار الملاك من الأجانب، وفضَّلوا ترك بيوتهم وأراضيهم وأولادهم ليحيوا حياة اللصوص أو ليتركوا عالمهم بما فيه إلى حياة رهبانية توفِّر لهم الأمن رغم ما فيها من عيشٍ على الكفاف[٢٨].

وفكرة الفرار من السلطات الحاكمة إلى الصحراء بسبب العجز عن دفع الضرائب عادة مصرية معروفة، وكان يُسمَّى الفارُّ حينئذ الهارب أو المختفي.

كما أن هناك سبباً اقتصادياً آخر كان له دور فاعل في انتشار الرهبانية بين أوساط النصارى غير الفرار من دفع الضرائب الباهظة للدولة، وهو إصدار الإمبراطور قسطنطين أمراً بإعفاء غير المتزوجين من الضرائب وإعفاء الرهبان من الخدمة العسكرية. فهذا القرار كان كافياً للكثيرين للامتناع عن الزواج والذهاب إلى الأديرة[٢٩]. وقد أشارت بعض المصادر النصرانية إلى ذلك، فجاء في إحداها: "أول باعث على هذه الرهبنة هو القانون الذي وضعه قسطنطين الأول سنة ٣٢٠م، وفيه: يُعفى العزَّاب والذين لا نسْلَ لهم من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم. وهذا القانون حدا بالكثيرين من محبِّي النفس والمال إلى الامتناع عن الزواج... ومنها أن الرُّهبان كانوا يُعفون من الخدمة العسكرية في مدة حكم قسطنطين"[٣٠].

كما يؤكِّد بعض الباحثين أن إعفاء الإمبراطور (قسطنطين) للرهبان ورجال الدين شمل كل الواجبات العامة التي تشمل بطبيعة الحال التجنيد ودفع الضرائب[٣١]، ومن ثَمَّ سلك بعض النصارى حياة الرهبانية طمعاً في الحصول على تلك الإعفاءات وتخليصاً للنفس من الواجبات العامة.

كما يذكر جون لوريمر سبباً اقتصادياً آخر لانتشار الرهبانية بين النصارى، وهو فرارهم من الأماكن المأهولة بالسكان بسبب نُدْرة فرص العمل، فيقول عن النصرانية الفارِّين: "مع أنهم لم يصبحوا جميعهم رهباناً إلا أن نُدْرة فرص العمل في الأماكن المأهولة بالسكان شجَّعت على أن يجرِّبوا حياة الرهبنة في الصحراء وفي الجبال"[٣٢].

وبالتالي لم يكن الفرار بالدِّين دوماً السبب الكامن وراء فرار النصارى إلى البراري، فنُدْرة فرص العمل، والخوف من سلطة القانون، وقسوة جباة الضرائب، والطمع في الاحتفاظ بالمال، والرغبة في التخلُّص من الواجبات العامة، كلُّ ذلك دفعهم إلى اتخاذ الرهبانية وظيفةً لهم.

٣- فساد النظام الكنسي:

يُعلِّل بعض الباحثين ظاهرة التنسُّك والرهبانية لدى النصارى بأنها كانت احتجاجاً على ما طرأ على الكنيسة النصرانية من آراء دخيلة؛ فقد أضحت أغنى الهيئات الدينية في الإمبراطورية، وخفَّفت من هجماتها على الثراء؛ فالأساقفة يتولَّوْن مناصب في الدولة تدرُّ عليهم المال الكثير، فأثروا وأقرضوا بربا فاحش، وتناحر القساوسة على المناصب الكنسية العليا. وخلاصة القول أن النصارى أصبحوا رجال دنيا، بينما كانت هناك أقلية من النصارى ترغب في الابتعاد عن كل طاعة للشهوات البشرية، وتطالب بالاستمرار في الانهماك النصراني القديم في التفكير في الحياة الأبدية الخالدة، وتخلَّى بعض هؤلاء الزُّهَّاد عن جميع أملاكهم، وعاشوا على ما يُقدَّم لهم من صدقات، وذهب بعضهم إلى العيش بمفردهم في الصحراء المصرية[٣٣]. وهذا ما يؤكِّده حبيب سعيد؛ إذ بيَّن أن فساد الكنيسة كان أحد أسباب ظهور الرهبانية النصرانية، فقال: "وهناك عوامل أخرى أدَّت إلى ذيوع النزعة الرهبانية، ألا وهي انسياب روح الفتور في حياة الكنيسة بعد أن اتَّسعت دائرتها ودخلها أناس من ذوي الميول الفاسدة، وقد رام بعض النصارى أن ينجوا بأنفسهم ويسعوا إلى خلاصها بالاعتزال عن العالم وإذلال رغبات الجسد، وكانت الفكرة السائدة أن المائدة هي أصل كلّ الشرور، والجسد جزء من المادة، فلا مناص إذنْ من قمعه وإذلاله... لذلك اعتصم أولئك الزاهدون بالفقر والتحرُّر من مقتنياتهم، وارتداء الثياب الخشنة، والامتناع عن الطعام إلا ما يسدُّ الرمق، وإرهاق أبدانهم بكل صنوف المشتقات، ونذر العفة المطلقة. وقد آمنوا في دواخل أنفسهم أن هذا هو الطريق الأمثل لبلوغ الكمال الإنساني"[٣٤].

وهكذا يتَّضح أن عدم رضا بعض النصارى على نشاط رجال الكنيسة دفعهم إلى العزلة؛ احتجاجاً منهم على انحرافها وفسادها. وقد أشار كبير رهبان مصر أنطونيوس إلى فشل الكنيسة في أداء واجبها تجاه أتباعها، وفشلها في إشباع حاجاتهم الروحية، وبرهن على ذلك بتوجُّهه إلى العزلة وابتعاده عن الكنيسة؛ فهي من وجهة نظره لم تعُد المكان الذي يعيش فيه مَن يريد حياة نصرانية حقيقية[٣٥].

ومن هنا نجد أن وراء ظهور الرهبانية بعد عدة قرون من رفع المسيح عليه السلام أسباب تبتعد عن الغاية الأصلية التي نُظِّمت الرهبانية من أجلها، ألا وهي الفرار بالدين والرغبة في تحقيق العبادة والتأمُّل.

مراحل ظهور الرهبانية:

الناظر في طبيعة ومبادئ الرهبانية النصرانية في مهدها وشبابها وشيخوختها سيُدرك أنها مرَّت بمراحل عدة مختلفة الأسباب. وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى:

يُمكن أن نطلق على هذه المرحلة (التوحُّد)؛ فقد بدأ الراهب فيها بالانعزال في أماكن قريبة من المدن في أكواخ أو مغارات، ثم انتهى إلى الانعزال الكامل في جوف الصحراء أو شقوق الجبال أو قبور مهجورة. وفي هذه المرحلة لا يرى الراهب المتوحِّد أحداً ولا يراه أحد[٣٦]. هؤلاء الرهبان الذين خطر ببالهم أن يهجروا عالمهم إنما قصدوا الصحراء في بادئ الأمر طالبين الوحدة، فعاش كل منهم بمفرده في مغارة من تلك المغارات الطبيعية المبعثرة في الصحراء وقضى حياته فيها في وحدة تامة وسكون شامل لا يعرف عن غيره شيئاً. وقد لاقى الرعيل الأول من طالبي الخلوة الكثير من المشقات والمتاعب صيفاً وشتاءً، ولم يجدوا في ذلك الفضاء إلا النَّزْر اليسير من الأعشاب والمياه[٣٧].

المرحلة الثانية:

وتُسمَّى هذه المرحلة (الأنطونية)؛ لأن الأنبا أنطونيوس هو المؤسِّس الحقيقي لنظام الرهبانية وهو الذي اختطَّها ونظَّمها. وفي هذه المرحلة عمد الرهبان إلى العيش متقاربين، فعاش كل منهم في صومعة بمفرده يقضي نهاره في صمت وتأمُّل أو في الاشتغال بعمل يدوي، وقد عُرفت هذه الصوامع القريبة من بعضها البعض بـ(الدَّيْر)، وكانت تضمّ كل منها ناسكاً متوحِّداً يطلب الخلوة طوال الأسبوع، على أن يجتمعوا مساء السبت وصباح الأحد ليشتركوا في الصلاة معاً، ثم يعود كل منهم إلى صومعته حيث يقضي بقية الأسبوع في عزلة تامة. فجمعت هذه الرهبانية بين الوحدة والانعزال، وخفَّف التجاور من قسوة التفرُّد والانقطاع[٣٨].

المرحلة الثالثة:

تُسمى هذه المرحلة (الشركة الرهبانية)[٣٩] و(الرهبنة الديرية)، وهي التي صار فيها الرهبان يسكنون حول سور واحد طمعاً في تعاون أكبر فيما بينهم، فتجمعهم حياة موحدة في الأكل والشرب والملبس والصلاة، ويخضعون لنظام صارم دقيق موحَّد[٤٠]؛ إذ تقوم بينهم حياة نسكية جماعية، ويُسمَّى هذا المكان (دَيْراً). ولأن هذا النظام الرهباني لم يسير وفق نظام التوحُّد وتدابيره فقد استحدثت وظائف وصناعات لتنظيم هذه الحياة الدَّيرية التي بدأت في القرن الرابع الميلادي، فأصبح للدَّيْر رئيس له تلميذ يساعده، وكذلك أصبح للدَّير أمين وخازن وحارس للباب وأمين مكتبة وكاهن يتلقى اعتراف الأتباع ، كما أصبحت في الدير مهن

متعدِّدة؛ نجارة وخياطة وحدادة، وانتشرت الزراعة وأصبح لها بستانية، وقامت من حولها تربيـــة الحيوانـــات بأنواعها، كما دخلت إلى الدَّيْر أعمال نسخ الكتب وطباعتها وتجليدها، وأصبح للدَّيْر إيرادات ومـــصروفات ووقفيات إلى غير ذلك[٤١].

وجدير بالذكر هنا وجود بعض الفوارق بين الانعزالية الرهبانية والانعزالية الدَّيْرية؛ فالأولى هـــي حياة فرد من الأفراد ضاق ذرعاً بالحياة من حوله فراح يلتمس سعادة نفسه بالابتعاد عن الخلائـــق[٤٢]. أمـــا الانعزالية الدَّيْرية فهي حياة اجتماعية في دَيْر من الأديرة، وهي حياة تعاونية خارج نطاق الحياة العادية، كما أنها حياة منظَّمة نوعاً ما ليس فيها قسوة حياة الرهبان وشدَّتها؛ إذ تغيَّر نظام التوحُّد أو الانطوائية إلى نظام الـــدَّيْر نتيجةً لكثرة الراغبين في الترهُّب الذين وجدوا أن في اجتماعهم حمايةً لهم من تعرُّض اللصوص والمجرمين لهـــم، فقاموا ببناء صوامع متجاورة ثم أحاطوها بأسوار عالية[٤٣]، فكانوا "يحتمون بهذه الأديرة التي تحميها الأســـوار العالية والبوابات الضخمة، فقد كانت نُزُلهم هذه تجمع في شكلها العام صفتي الدين والقلعة"[٤٤].

ويُلاحظ أن نظام الترهُّب النصراني ومبادئه تغيرت مع مرور الزمن، فلم يعُد الحرمان من لذيـــذ العيش وتعذيب الجسم بالجوع والعطش السائد في المرحلة الأخيرة، بل أصبح للرهبان تجارة وبساتين تدرُّ المال لدرجة تطلَّبت تعيين خازن وحارس للباب، كما ناقض عدد منهم دعوى التبتُّل والعزوبية بأفعال مشينة.

أسس الرهبانية كما يعلنها النصارى:

يعتقد بعض النصارى أن أسس الرهبانية من تقشُّف وعدم زواج وسُّكنى في الكهوف والانعـــزال عن المجتمعات الإنسانية والصبر على الأذى مستمدةٌ من نصوص إنجيلية يُنسب بعضها إلى عيسى عليه السلام، ونذكر من تلك الأسس:

أ- الانعزال:

قالوا عن اللجوء إلى الجبال والبراري إنه مقتبسٌ من سيرة عيسى عليه السلام؛ إذ كان يصعد إلى الجبال حين يرغب في الصلاة أو يعلِّم الجموع[٤٥]؛ لذا قام الرهبان الأوائل ببناء أديرتهم في الجبال والـــبراري. ونذكر هنا أن الأنبا غريغوريوس أكد أن عيسى عليه السلام لم يَعِشْ في عزلة بعيداً عن الناس، وعلَّل ذلك بأنه جاء من أجل رسالة مهمة، مشيراً إلى أنه اعتزل قبل البدء في الخدمة فترةً قصيرةً لا تتجاوز أربعين يوماً[٤٦].

ب- التقشُّف والتعايش بالآلام:

كان الاعتقاد السائد أن الجسد مادة، والمادة أصل الشرور؛ لذا قاموا بقمع الجسد وإذلاله لكي تنطلق الروح من قيدها الجسماني، فأرهق الرهبان أبدانهم بكل صنوف المشقات، وقسوا علـــى أجـــسادهم،

ونسوا مطالب حياتهم متعمدين تعذيب أبدانهم بالجوع والعطش وخشن اللباس. "وتُروى عن الرهبان غرائب القصص، فكان بعضهم لا يأكل إلا مرة كل خمسة أيام، ويمتنعون عن شرب الماء إلا نادراً، وعاش آخرون في أماكن ضيقة بحيث لم يكن في وسعهم مدّ أرجلهم فيها، ووضعوا فوق رؤوس الأعمدة، وحرَّم بعضهم على نفسه لذة النوم"(٤٧)، "وكان الواحد منهم يأكل ما تيسَّر له من طعام فاسد دون أن يرتدي شيئاً سوى ثياب بالية، ويحرم نفسه حتى من نظافة الجسد"(٤٨)، كما كان يقول بعضهم: "إن الاستحمام عادة قبيحة مستهجنة لا توافق الآداب"(٤٩). وكان طبيعياً أن تصبح أجسام أولئك الرهبان في حالة يُرثى لها من القذارة التي كانوا يعدُّونها علامةً للزهد والتقوى وإشارةً إلى البر والقداسة(٥٠). كما اعتمدوا في تعذيبهم أبدانهم على نصوص من العهد الجديد قالوا إنها نقلت إليهم المنهج الذي اعتمده عيسى عليه السلام في زهده واحتماله للآلام(٥١)، منها القول الذي زعموا انه جاء على لسان عيسى عليه السلام في رده على شاب طلب إرشاده إلى طريق الخلاص، والنص كالآتي: "إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له: أية وصايا؟ فقال يسوع: لا تقتلْ، لا تزْنِ، لا تسرقْ، لا تشهدْ بالزور، أكرمْ أباك وأمَّك، وأحبّ قريبك كنفسك. فقال له الشاب: كلها حفظتها منذ حداثتي، فماذا يعوزني بعدُ؟ فقال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهبْ وبِعْ أملاكك وأعْطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ اتَّبعني"(٥٢).

ج- التبتُّل وعدم الزواج(٥٣):

ذكر الرهبان أن عدم الزواج مستمدٌّ أيضاً من قول لعيسى عليه السلام، هو: "يُوجد خصيان وُلدوا هكذا في بطون أمهاتهم، ويُوجد خصيان خصاهم الناس، ويُوجد خصيان خصَوْا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات. مَن استطاع أن يحتمل فليحتمل"(٥٤).

د- الطاعة التامة لرجال الكنيسة:

جعلت النصرانية هذه الطاعة فرضاً واجباً على الرهبان نحو رؤسائهم، وأرجعوها إلى قول يُنسب إلى عيسى عليه السلام، هو: "مع كونه ابناً تعلَّم الطاعة"(٥٥).

أسس الرهبانية تناقض نفسها:

يجد الدارس للنصوص الإنجيلية وللسيرة التي نُسبت إلى عيسى عليه السلام ولتاريخ الديانة النصرانية تناقضاً واضحاً بين معظم أسس الرهبانية التي ذكرناها في هذه الدراسة ونُسبت إلى نبيّ الله عيسى عليه السلام، وكذلك بين نصوص إنجيلية أخرى وتاريخ الدين النصراني وتعاليم رجاله، وهو ما يُوجب التوقُّف لدراسة هذه الأسس وتحليلها قبل بيان موقف الإسلام من الرهبانية النصرانية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التحليل سيشمل ثلاثاً من أسس الرهبانية، وهي:

الأساس الأول: الانعزال

سبقت شهادة أحد علماء الديانة النصرانية، وهو الأنبا غريغوريوس، أن عيسى عليه السلام لم يَعِشْ في عزلة بعيداً عن الناس، إنما عاش وسط العالم، مؤكداً أنه اعتزل قبل البدء في الخدمة فترةً قصيرةً لا تتجاوز أربعين يوماً[٥٦]. وبالتالي لا نجد مستنداً لهذا الانعزال من سيرة نبي الله عيسى عليه السلام المتوفرة اليوم لدى علماء الدين النصراني. وعليه، لا أفهم كيف يُقال إنهم أخذوا الانعزال عنه عليه السلام.

الأساس الثاني: التقشُّف والتعايش بالآلام

زعموا أن عيسى عليه السلام وجَّه شاباً طلب إرشاده لطريق الخلاص إلى التقشُّف، وذكروا في ذلك نصاً سبق إيراده[٥٧]. فاعتمد الرهبان على هذا النص في تعذيبهم أبدانهم بالجوع والعطش وخشن اللباس، زاعمين أنهم في ذلك مقتدون بعيسى عليه السلام في زهده منفِّذون لوصاياه. إلا أننا نعجب من ادِّعائهم هذا عندما نجدهم يُقرُّون بحبِّ عيسى عليه السلام للأكل وشرب الخمر: "جاء ابن الإنسان – المسيح – يأكل ويشرب، فيقولون: هو ذا إنسان أكول وشريب خمر محبّ للعشارين والخطاة"[٥٨]. فهذا الحبُّ ليس من التقشُّف والزهد الذي اعتمده الرهبان.

كما أتساءل: كيف تمكَّنوا من الجمع بين دعواهم أن التقشُّف أحد أسس الرهبانية والبذخ الذي عُرف عن رجالهم؟! ولا أعني هنا الفساد المالي الذي عُرف عن بعض الأديرة وبعض رجال الدين النصراني[٥٩]، بل ما أعنيه هنا هو البذخ الرسمي المُعلَن في الطقوس الرسمية؛ فالبطريك في الكنيسة القبطية – على سبيل المثال – يُشترط كشرط أساسي عند انتخابه لمقعد البطريك أن يكون قد حاز على رتبة (راهب)، أما ترسيمه فهو يناقض التقشُّف تماماً؛ إذ يُرسَّم ابتداءً بالمباخر، ثم يقوم بارتداء الصدرة والعباءة والتاج والعكاز، ثم يقتاد إلى العرش، كما أن (التونية) التي يرتديها رجال الكنيسة القبطية هي "ثوب طويل من الكتان يصل إلى القدمين مزيَّن بالجواهر على شكل صليب على الظهر والصدر والحواف وأطراف الأكمام، أما إذا كانت الكنيسة فقيرة فإنه يُطرَّز بالحرير بدلاً من الجواهر!!... وفي الفترة التي كانت فيها (التونية) العادية مطعَّمة بأفاريز وصلبان من الجواهر الثمينة كانت الأرضية منسوجة من الحرير الأبيض الثمين أو الكتان، والحرير هو المادة الشائعة. أما (التونية) التي يرتديها البطريك في الاحتفالات الكبرى حالياً فهي مصنوعة من خيوط الذهب. ويصف القديس جيروم (الصدرة) بأنها منسوجة من الذهب"[٦٠]. ثم كيف أصبحت للأديرة إيرادات ومصروفات ووقفيات – كما أشرنا آنفاً – وصلت في بعض الأحيان إلى حدٍّ مُبالَغ فيه[٦١] ؟! ثم ما موقفهم من النص الإنجيلي الذي ورد فيه: "لا تقتنوا ذهباً ولا فضةً ولا نحاساً في مناطقكم، ولا مزوداً للطريق، ولا ثوبين، ولا أحذية، ولا عصًا"[٦٢]، وهم قد تباهوا بالذهب والفضة والجواهر والحرير؟! فأين ذلك كلُّه من التقشُّف وتحمل الألم؟!

الأساس الثالث: التبتُّل وعدم الزواج:

زعموا أن عدم زواج الرهبان مستمدٌ أيضاً من قول نسبوه إلى عيسى عليه السلام[٦٣]. وهنا نتوقف عند "أوائل القرن الرابع الميلادي؛ حيث أصدر مجمع ألفيرا في إسبانيا قراراً بتحريم الزواج وابتعاد كبار رجال الكنيسة عن كل الشهوات الجنسية. وفي أواخر القرن الحادي عشر أصدر البابا جريجوري السابع أمراً بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع القساوسة والرهبان كبارهم وصغارهم... ولم يكد ينتهي القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان ذلك القرار نظاماً مقرَّراً في الكنيسة الكاثوليكية ومطبَّقاً على جميع القساوسة والرهبان من الرجال والراهبات من النساء"[٦٤].

وهكذا نصل إلى أن النصرانية لم تعتمد التبتُّل أساساً إلزامياً للرهبانية إلا مؤخَّراً، وهو ما تؤكِّده أيضاً بتشر في بيانها أن أكثر الرهبان النصارى لم يمتنعوا عن الزواج لأسباب دينية، فهي تقول: إن الحقيقة التي نريد إيضاحها الآن هي أن أكثر الذين صاروا رهباناً وراهبات ولم يتزوجوا لم يتخلَّوا عن وظائفهم، بل استحسنوا عدم الزواج بسبب مصائبه وضيق الوقت[٦٥].

والشيء الذي نعجب له ليس عدّ رجال الكنيسة التبتُّل مستمداً من تعاليم المسيح عليه السلام، بل تجاهلهم نصاً إنجيلياً أقرَّ عليه السلام من خلاله النكاح وباركه بحضوره وبمعجزة قام بها؛ إذ حوَّل الماء خمراً[٦٦]، كما تجاهلوا نصوصاً تأمر الزوجات بالخضوع لأزواجهن: "أيها النساء، اخضعن لرجالكم"[٦٧]، ونصوصاً تأمر الأزواج بحبّ زوجاتهم: "كذلك يجب على الرجال أن يحبُّوا نسائهم كأجسادهم"[٦٨]. كما أننا لسنا نعجب من كون هذا التبتُّل لم يُفرض على الرهبان إلا بعد قرون من ظهور الرهبانية كما أشرنا، بل من كون رجال الكنيسة يحضُّون أتباعهم على الزواج ويعدُّونه من أسرار الكنيسة السبعة[٦٩]؛ فقد فسَّر أحد علماء الدين النصراني هذا السرّ بقوله: "إن الزواج ناموس مقدَّس أسَّسه الله تعالى منذ البدء وثبَّته الرب يسوع ورفع من شأنه وسُرَّ أن يجعله سراً مقدَّساً في كنيسته، وعلى ذلك نعرفه بأنه: سرٌّ مقدَّس به يرتبط ويتَّحد الرجل والمرأة اتحاداً مقدَّماً بنعمة الروح المقدَّس للحصول على ولادة البنين وتربيتهم التربية النصرانية. وسُمِّي هذا السر إكليلاً بسبب الأكاليل التي تُوضع فوق رؤوس العروسين وقت إتمام هذا السرّ المقدس، وهي رمز إلى أكاليل النعمة والمجد والثبات كما هو مذكور في صلاة الإكليل"[٧٠]، كما قال: "من الثابت من أقوال الرُسل ومؤلفات الآباء والتقليد الشريف أن سرّ الزيجة قائم في الكنيسة منذ تأسيسها، وقال معلِّمنا بولس بصريح العبارة: هذا السر عظيم"[٧١].

ولم يكتفِ رجال الكنيسة بإظهار هذا الاهتمام بالزواج داخل أروقة الكنائس فقط، بل عمدوا إلى نشره على صفحات مجلاتهم؛ فقد نشرت مجلة (الوثائق الكاثوليكية) في عددها رقم ١٢١١ لسنة ١٩٥٨م

كلمةً للبابا بيوس الثاني عشر في الاتحاد الإيطالي لجمعيات العائلات كثيرة العدد جاء فيها: "إن خصب الزواج شرط لسلامة الشعوب النصرانية، ودليل على الإيمان بالله والثقة بالعناية الإلهية، ومجلبة للأفراح العائليـــة"(٧٢). أما أقوال رجال الكنيسة التي يُستنبط منها إيمانهم بأن الزواج سرّ مقدَّس من أسرار الكنيسة فكثيرة، منها: "إن قداسة السرّ لها في زيجتنا – المسيحية – قوة أكثر من قوة ثمرة الأولاد في الأم"(٧٣)، كما قال عـــالم مـــسيحي آخر: "كيف يمكننا أن نعبِّر عن سعادة الزيجة التي تعقدها الكنيسة ويثبتها القربان وتختمها البركة؟!"(٧٤).

صورة قرآنية لرهبان نصارى:

أشاد القرآن الكريم في سورة الكهف برهبان نصارى عمدوا إلى الفرار إلى الوديان وقمم الجبـــال والصحارى خوفاً على دينهم من جور السلطة السياسية التي عمدت إلى اضطهادهم وتعذيبهم بسبب إيمـــانهم وتمسُّكهم بالديانة النصرانية، كما أشارت بعض الآيات القرآنية إلى ما انتهت إليه الرهبانية من غلو وفـــسق. وإحقاقاً للحق يجب التوقُّف عند عرض القرآن الكريم لقصة أهل الكهف، كما سنعمد إلى بيان موقف الإسلام من الرهبانية النصرانية بصورتها الحالية.

قصة أهل الكهف:

تتحدث الآيات الكريمة من سورة الكهف عن فتية هربوا إلى أحد الكهوف فراراً بدينهم والتماساً لرضا الله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّـــدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُـــهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّـــا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَـــوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَـــمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُـــرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُـــوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ { الكهف ٩–٢٠. }

وقد ذكر الطبري في تفسيره أن الفتية الذين أشارت إليهم الآيات وسمَّتهم (أصحاب الكهف) هم نصارى من المؤمنين برسالة عيسى عليه السلام اعتزلوا قومهم عبَّاد الأوثان فراراً بدينهم وطمعاً في رحمة الله سبحانه وتعالى، وذلك بعد أن اضْطُهدوا وعُذِّبوا بعد رفض دعوة ملكهم الوثنيّ إلى عبادة الأوثان، فهربوا بدينهم خشية أن يفتنهم عنه أو يقتلهم، فاستَخْفَوْا منه واعتزلوا في الكهف(٧٥).

ويرى أحد الباحثين(٧٦) أن ما ذهب إليه الطبري من أن أصحاب الكهف هم فتية نصارى آمنوا بدعوة عيسى عليه السلام يؤيِّده سياق النص القرآني في السورة نفسها؛ إذ أشارت الآيات الأولى من السورة إلى الذين قالوا: إن الله اتخذ ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾{ الكهف ٤.}

ومن هذه الآيات الكريمة نجد أن القرآن الكريم أقرَّ موقف المؤمنين النصارى الذين هربوا إلى الصحارى خوفاً على دينهم من الفتنة وطمعاً في حياة آمنة تمكِّنهم من الانقطاع للعبادة والتأمُّل.

إلا أن القرآن الكريم بيَّن في سورة أخرى أن الرُّهبان غيَّروا وجهتهم تلك وغالوا فيما ذهبوا إليه في رهبانيتهم، فعذَّبوا أنفسهم بالامتناع عن الطعام والشراب والملبس والنكاح والنظافة، كما ربط بعضهم نفسه بالسلاسل، وهكذا أخرجوا الرهبانية عن جوهرها الذي وُجدت من أجله، فيقول سبحانه تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾{الحديد ٢٦}. لقد أشاد النص القرآني بسمو الرهبانية المسيحية في أيامها الأولى، والتي كانت تعنى في مضامينها الانقطاع للعبادة، كما أعلن في الوقت نفسه رفضه ما انتهت إليه من فساد نتيجة مغالاة أفرادها.

مقارنة بين الاعتكاف الإسلامي والرهبانية النصرانية:

قد يعترض الناظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على موقف الإسلام الرافض للرهبانية استناداً إلى آيات القرآن الكريم الصريحة في هذا الشأن المشار إليها آنفاً فيقول: إن السنة النبوية التي نفت وجود رهبانية في الإسلام تنصّ على أنه عليه الصلاة والسلام اعتزل قومه وتوجَّه كالرهبان إلى الصحارى والكهوف طلباً للتأمُّل والتفكُّر، وما اتِّخاذه غار حراء مكاناً لخلوته إلا دليلاً على ذلك. ونردُّ على مَن يقول ذلك فنقول: إن سيرته صلى الله عليه وسلم نفسها تذكر أن خلوته في غار حراء كانت قبل نزول الوحي، وكانت حينها محدَّدة بشهر رمضان المبارك، يعود بعدها إلى مجتمعه وأسرته، فلم يُعهد منه هذه الخلوة بعد نزول الوحي عليه(٧٧). وبالتالي فحُجَّتهم هنا بأن الاعتزال في الصحارى والبُعد عن الناس يتَّفق مع التعاليم الإسلامية

ومع سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم مردودةٌ عليهم.

إلا أنه وجب التنويه بأن الاعتزال للعبادة منصوص عليه في الدين الإسلامي، غير أن مفهومه مُغايرٌ تماماً لمفهوم الرهبانية؛ فالإسلام يرغِّب في الاعتكاف الذي يعني شرعاً "الإقامة في المسجد... قربةً وطاعةً"(٧٨)، قال تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ { البقرة ١٢٥. }، كما نصَّت السنة النبوية على أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان"(٧٩).

إلا أن الاعتكاف في الإسلام له أسس تختلف جملةً وتفصيلاً عن الرهبانية؛ فللمعتكف – أذكراً كان أم أنثى – أن يعتزل للعبادة والصلاة في المسجد لا خارج نطاق المدن والقرى كالصحارى القفار، كما لا يُقبل أن يكون اعتزاله مطلقاً ودائماً، ولا يُشترط في المعتكف أن يكون غير متزوِّج، كما لا يُمنع من الطعام والشراب، ولا يُلزمه اعتكافه بإهمال الجسد والزينة، فلا بأس أن يغتسل ويرجِّل رأسه ويتطيَّب ويلبس اللين من الثياب؛ فقد أشارت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إلى أنها كانت ترجِّل شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف فقالت: "وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُدخل رأسه وهو في المسجد فأرجِّله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً"(٨٠). كما للمعتكف أن يتزوج في المسجد ويشهد النكاح، وله أن يخرج أثناء اعتكافه فيباشر زوجته، ولكنه بذلك يكون قد أبطل اعتكافه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ { البقرة ١٨٧. }، ولا يتوجَّب عليه في هذه الحالة القضاء إلا إذا كان اعتكافه نذراً. ومع أن المُستحَبَّ للمعتكف التشاغل بالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله سبحانه وتعالى فإن بعض المذاهب – كالشافعية – تقول بجواز ممارسة المعتكف البيع والشراء والخياطة ما لم يكن مأثماً(٨١).

عموماً، أحلّ الإسلام الطيبات للمسلمين كافة، وحثّ المسلم على التمتُّع بزينة الحياة الدنيا، وأوجب عليه المحافظة على صحته، كما استنكر من بعض الناس تحريمهم زينة الحياة الدنيا التي أباحها الله سبحانه وتعالى لعباده، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ { الأعراف ٣٠، ٣١}، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ﴾ { المائدة ٨٧. }.

كما أن الإسلام لم ينظر إلى المال على أنه آفة يجب القضاء عليها، ولم يجعل الفقر دليل إيمان، بل منع مَن له ورثة أن يوصي بأكثر من ثلث ماله خشية أن يتركوا عالةً فقراء يسألون الناس. وفي هذا الشأن نذكر ما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول

الله، أُوصي بمالي كلِّه؟ قال: "لا". قلتُ: فالشطر؟ قال: "لا". قلتُ: الثلث؟ قال: "فَالثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ. إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ"(٨٢).

أما الطاعة التامة لرجال الكنيسة التي هي من أسس الرهبانية النصرانية فالإسلام يقف منها موقفاً مغايراً؛ إذ إن الطاعة المُطلَقة في الإسلام لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، وقد عاب القرآن الكريم طاعة اليهود والنصارى المُطلَقة لرجال دينهم التي بلغت طاعتهم في تحريمهم الحلال وتحليلهم الحرام، فقال سبحانه وتعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾{ التوبة ٣١.}. وقد رُوي عن عدي بن حاتم أنه قال وقد انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟" فقلْتُ: بلى، قال: "فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ"(٨٣). فهذا الحديث الشريف فيه بيان أن تعظيم الأحبار والرهبان قد يصل بصاحبه إلى الشرك الأكبر؛ فالأتباع يتَّبعون أحبارهم ورهبانهم وهم يعلمون أنهم يُحرِّمون ما أحلَّ الله ويحلِّلون ما حرَّمه سبحانه، وهم عندما يفعلون ذلك يفعلونه من باب تعظيمهم، وبهذه الطاعة وقعوا في الشرك الأكبر.

أما طاعة العلماء المنصوص عليها شرعاً في الدين الإسلامي فتكون بالتَّبعية لطاعة الله سبحانه وتعالى ولرسوله الكريم، لا طاعةً استقلاليةً؛ فهذه النوعية من الطاعة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى؛ إذ إنها من أنواع العبادة، ويجب إفراد الله جلَّ وعلا بها. كما أن الاجتهاد الواجب على العلماء في الإسلام لا يخرج عن النصوص الشرعية أو يناقضها؛ إذ لا يجوز لهم أن يُحرِّموا حلالاً أو يُحلِّلوا حراماً(٨٤).

أما التبتُّل وعدم الزواج الذي هو أيضاً من أسس الرهبانية النصرانية فموقف الإسلام منه يتوافق مع موقفه الرافض لكل أسس الرهبانية؛ فقد وجَّه القرآن الكريم المؤمنين إلى النكاح وحضَّ عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ { النور ٣٢.}. كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ترك الزواج والانقطاع للعبادة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟! قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر. فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))(٨٥). وقد بيَّن الحافظ ابن حجر العسقلاني أن المراد بالسُّنَّة الطريقة، وأن الرغبة عن الشيء تعني الإعراض عنه إلى

غيره، والمراد أن مَن ترك طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بطريقة غيره فليس منه. كما بيَّن أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار في حديثه هذا إلى الرهبانية النصرانية؛ فهم الذين ابتدعوا التشديد في العبادة، ودعوا إلى التبتُّل، ولم يُوفوا بما التزموا به. كما يُظهر الحديث الشريف سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو يُفطر ليتقوَّى على الصوم، وينام ليتقوَّى على القيام، ويتزوَّج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل(٨٦). كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً كلّ الحرص على دعوة الشباب المستطيعين إلى النكاح، وإرشادهم إلى أن للزواج فضائل عدة؛ كالعفة والطهارة وغضّ البصر؛ فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَاب، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"(٨٧).

الخاتمة:

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا؛ إنك أنت العليم الحكيم. اللهم انفعنا بما علَّمتنا، وعلِّمنا ما ينفعنا، وزِدْنا علماً.

وبعد، خلص الباحث في دراسته إلى عدة نتائج، من أهمها:

- إقرار الكنيسة النصرانية على اختلافها بأن الرهبانية ليست مسألة عقائدية أو إيمانية، كما أنها ليست أمراً واجب التنفيذ.
- لم ينكر النصارى أن الرهبانية كنظام حياة ظهرت بعد زمن عيسى عليه السلام بعدة قرون.
- ظهرت الرهبانية النصرانية بنظامها الحالي وتطوَّرت في مصر على أيدي الرهبان الأوائل في القرن الثالث الميلادي.
- كان ظهور الرهبانية النصرانية نتيجة عدة عوامل؛ منها السياسي والاقتصادي وفساد الكنيسة.
- اتَّضح التناقض الواضح بين معظم أسس الرهبانية التي شملتها الدراسة.
- أشاد النص القرآني بسموّ الرهبانية النصرانية في أيامها الأولى، بمعنى الانقطاع للعبادة، كما أعلن رفضه ما انتهت إليه من فساد نتيجة غلوّ أفرادها وتشدُّدهم.
- الاعتزال للعبادة منصوص عليه في الدين الإسلامي، إلا أن مفهومه مُغاير لمفهوم الرهبانية النصرانية.
- رفْضُ الإسلامِ كلَّ أسس الرهبانية النصرانية نابعٌ من توافقه مع الفطرة الإنسانية.
- التوصيات:

بعد هذه الدراسة التي حاولت من خلالها الإلمام بالموضوع أسجِّل هذه التوصيات:

- ضرورة توجيه الباحثين إلى الاهتمام بدراسة الرهبانية النصرانية وعقد المقارنة بينها وبين الاعتكاف الإسلامي؛ فأسس الرهبانية النصرانية المتعارضة مع الطبيعة الإنسانية ما زالت مدار جدال أهلها ونقاشهم.
- تشجيع عقد المؤتمرات العلمية بين المسلمين والنصارى لتوضيح توافق الإسلام التام مع الطبيعة الإنسانية التي راعت الجسد والروح معاً.

الهوامش

(١) البروتستانت: نِحْلة مسيحية ظهرت في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، واللفظ يعني المحتجِّين. والبروتستانتية لا تُقرُّ بنظام الرهبانية، ولا تحرِّم الزواج على رجال الدين، ولا تُقرُّ بقدرة الكاهن على غفران الذنوب والخطايا. انظر: علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٤٠-١٤٥.

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١، مادة (رهب). جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، مادة (رهب).

(٣) غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٥٠. رؤوف حبيب، الرهبنة الديرية في مصر، ص٢٣.

(٤) ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، تقديم ومراجعة: القس جرجس صبحي، ص١٦٥.

(٥) الأرثوذكس: تُسمَّى كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية؛ لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية. انظر: أحمد شلبي، مقارنة الأديان: المسيحية، ص٢٣٨.

(٦) الكاثوليكية: أي العامَّة، وذلك لأنها تُدعى أم الكنائس ومعلِّمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم. وتُسمَّى كذلك الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية. انظر: أحمد شلبي، مقارنة الأديان: المسيحية، ص٢٣٧.

(٧) المرجع السابق. وانظر أيضاً: غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٦٠.

(٨) رؤوف حبيب، الرهبنة الديرية في مصر، ص٣٧.

(٩) زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص٢٢١. منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٧١.

(١٠) زكي شنودة، تاريخ الأقباط، ج١، ص١٨١. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٣.

(١١) رؤوف حبيب، الرهبنة الديرية في مصر، ص٣٢. محمد عثمان عبد الجليل، الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي، ص٣٤٧. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة: في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢،ص١٠٦٩-١٠٧٠.

(١٢) الأنبا أنطونيوس (٢١٥-٣٥٦م): وُلد في بلدة كوما، وهي قمن العروس الحالية بمحافظة بني سويف. انظر: ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، تقديم ومراجعة: القس جرجس صبحي، ص٩٩. وانظر أيضاً: أ. ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: إسكندر تاضروس، ج١، ص١٤٨-١٥٠.

(١٣) رؤوف حبيب، الرهبنة الديرية في مصر، ص٣٩. حبيب سعيد، تاريخ المسيحية: فجر المسيحية، ص١٧٥-١٧٧. غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٧٥-٩٩. منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٧٦-٨٣. أ. ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: إسكندر تاضروس، ج١، ص١٤٨-١٥٠. محيي الدين سعيد البغدادي، رأي وتعليل ونقد وتحليل، ص٤٠. ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج٣، ص٣٩٠، ٣٩١. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٥.

(١٤) ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، تقديم ومراجعة: القس جرجس صبحي، ص١٦٥.

(١٥) زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص١٩٣.

(١٦) إيرل كيرنز، المسيحية عبر العصور، ص١٧٥. رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: الوثنية والمسيحية، ج٢، ص٣٢.

(١٧) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٢، ص٤٥. سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٠٥. عبد المنعم الشيخ، الرهبانية والديرية والتصوُّف، ص٧٦٢. دائرة المعارف الكتابية، الإمبراطورية والمسيحية، المجلد الرابع، مادة (رومية).

(١٨) دقليديان: وُلد عام ٢٤٥م، واعتزل الحكم عام ٣٠٥م، ومات عام ٣١٦م. انظر: رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٢، ص٤٩-٥٤. هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والباز اليعريني، القسم الأول، ص١.

(١٩) إيرل كيرنز، المسيحية عبر العصور، ص١٠٦، ١٠٧. أ. ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: إسكندر تاضروس، ج١، ص١٧١. رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٢، ص٥٨. محمد عثمان عبد الجليل، الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي، ص٣٤٧. دائرة المعارف الكتابية، الإمبراطورية والمسيحية، المجلد الرابع، مادة (رومية).

(٢٠) داود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصوِّرها القرآن الكريم، ص١٢٣.

(٢١) أ. ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: إسكندر تاضروس، ج١، ص١٨٥. سعيد عبد الفتاح عاشور، الرجوع إلى الله: دراسة بين الرهبانية في المسيحية والتصوُّف في الإسلام، ص١٩، ٢٠.

(٢٢) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٣، ص١٨٢.

(٢٣) رأفت عبد الحميد، ملامح الشخصية المصرية في العصر المسيحي، ص٤١، ٤٢. نقلاً عن: أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٨. محمد أبو زهرة، محاضرات النصرانية، ص٣٠.

(٢٤) انظر: غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٧٣. رؤوف حبيب، الرهبنة الديرية في مصر، ص٣٦. منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٧٣. محيي الدين سعيد البغدادي، رأي وتعليل ونقد وتحليل، ص٤٠.

(٢٥) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٣، ص١٢.

(٢٦) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج٢، ص١٣٤. نقلاً عن: أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٠. أحمد شلبي، مقارنة الأديان: المسيحية، ص٢٤٣. محمد عزت الطهطاوي، في مقارنة الأديان: النصرانية والإسلام، ص٧٠. سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٠٥.

(٢٧) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٣، ص١٧٦.

(٢٨) حكيم أمين، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، ص٦. نقلاً عن: أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٦. محمد عثمان عبد الجليل، الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي، ص٣٤٨.

(٢٩) حكيم أمين، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، ص٧. نقلاً عن: أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٧. رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٣، ص١٨٢، ج٤، ص١٥٠.

(٣٠) أ. ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: إسكندر تاضروس، ج١، ص٢٧٦. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٧.

(٣١) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٢، ص١٠٦، ١٠٧.

(٣٢) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج٢، ص١٣٤. نقلاً عن: أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف

الإسلام منها، ص٦٦.

(٣٣) ويل ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثالث، ج٣، ص٣٩٠. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٠. سعيد عبد الفتاح عاشور، الرجوع إلى الله: دراسة بين الرهبانية في المسيحية والتصوُّف في الإسلام، ص٢٠. حبيب سعيد، تاريخ المسيحية: فجر المسيحية، ص١٧٣، ١٧٤.

(٣٤) حبيب سعيد، تاريخ المسيحية: فجر المسيحية، بتصرف بسيط، ص١٧٣، ١٧٤.

(٣٥) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج٢، ص١٣٥. نقلاً عن: أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية، وموقف الإسلام منها، ص٧٢.

(٣٦) ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ص١٠٠. منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٧١. غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٥٥. سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٠٥. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٦. وانظر أيضاً: تقرير الحالة الدينية في مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ص١٣٣.

(٣٧) ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ص١٠٠، ١٠١.

(٣٨) المرجع السابق. رؤوف حبيب، الرهبنة الديرية في مصر، ص٤٠. زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص٢٠٠. غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٥٥. سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٠٥. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٦. رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٣، ص١٧٧. تقرير الحالة الدينية في مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ص١٣٣، ١٣٤. محمد عثمان عبد الجليل، الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي، ص٣٤٨.

(٣٩) زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص٢٠٣.

(٤٠) غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٥٦.

(٤١) رؤوف حبيب، الرهبنة الديرية في مصر، ص٤٥، ٤٦. ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ص١٠١، ١٠٢. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٧. تقرير

الحالة الدينية في مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ص١٣٣-١٣٥. محمد عثمان عبد الجليل، الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي، ص٣٤٨. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٦.

(٤٢) عبد المنعم الشيخ، الرهبانية والديرية والتصوُّف، ص٧٦٠.

(٤٣) أحمد شلبي، مقارنة الأديان: المسيحية، ص٢٤٣. محمد عزت الطهطاوي، في مقارنة الأديان: النصرانية والإسلام، ص٧٠. سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٠٥. رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: الوثنية والمسيحية، ج٢، ص٣٢. أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٧.

(٤٤) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٣، ص١٨١.

(٤٥) زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص١٩٤.

(٤٦) غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٢٨.

(٤٧) حبيب سعيد، تاريخ المسيحية: فجر المسيحية، ص١٧٤-١٧٨. زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص١٩٥.

(٤٨) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بتصرف بسيط، ص١٢٩.

(٤٩) أ. ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: إسكندر تاضروس، ج١، ص٢٧٥.

(٥٠) المرجع السابق.

(٥١) سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٠٦.

(٥٢) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرات ١٦-٢١.

(٥٣) زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص١٩٤. سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٠٦.

(٥٤) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرة ١٢.

(٥٥) زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، ص١٩٥. أحمد شلبي، مقارنة الأديان: المسيحية، ص٢٤٤، ٢٤٥. محمد عزت الطهطاوي، في مقارنة الأديان: النصرانية والإسلام، ص٧٠، ٧١. سعد رستم، الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٠٦.

(٥٦) غريغوريوس، موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٢٨.

(57) انظر النص في ص 21 من الدراسة.

(58) إنجيل متى، الإصحاح 11، الفقرة 19.

(59) انظر: كامل سعفان، مسيحية بلا مسيح، ص239-246.

(60) المرجع السابق، ص173-176.

(61) المرجع السابق، ص239-246.

(62) إنجيل متى، الإصحاح 10، الفقرتان 9، 10.

(63) انظر النص في ص21 من الدراسة.

(64) محمد عزت الطهطاوي، في مقارنة الأديان: النصرانية والإسلام، ص74.

(65) أ. ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: إسكندر تاضروس، ج1، ص273.

(66) إنجيل يوحنا، الإصحاح 2، الفقرات 1-11.

(67) أفسس، الإصحاح 5، الفقرة 22.

(68) أفسس، الإصحاح 5، الفقرة 28.

(69) أسرار الكنيسة السبعة بمعنى مواهبها، ولها علامات تشير إلى أمور مقدَّسة مخفية. انظر: حبيب جرجس، أسرار الكنيسة السبعة: الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة، ص6.

(70) المرجع السابق، ص136.

(71) المرجع السابق، ص137.

(72) محمد عزت الطهطاوي، في مقارنة الأديان: النصرانية والإسلام، ص75.

(73) حبيب جرجس، أسرار الكنيسة السبعة: الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة، ص139. محمود عبد السميع شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام: دراسة مقارنة، ج1، ص235.

(74) المرجع السابق.

(75) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج15، ص162-170.

(76) داود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصوِّرها القرآن الكريم، ص124-128.

(77) محمد الغزالي، فقه السيرة، خرَّج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، ص88-95.

(٧٨) الإمام موفّق الدين ابن قدامة، المغني، ج٣، كتاب الاعتكاف.

(٧٩) البخاري، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها.

(٨٠) البخاري، كتاب الاعتكاف، باب لا يدخل البيت إلا لحاجة.

(٨١) الإمام موفّق الدين ابن قدامة، المغني، ج٣، كتاب الاعتكاف.

(٨٢) البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خيرٌ من أن يتكفّفوا الناس.

(٨٣)سنن الترمذي ،كتاب التفسير ،تفسير سورة التوبة .

(٨٤) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص٥٤٣.

(٨٥) صحيح البخاري، باب الترغيب في النساء.

(٨٦) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩، ص١٠٥.

(٨٧) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب مَن لم يستطع الباءة فلْيَصُم.

المراجـــــــع

- القرآن الكريم.
- ابن قدامة، موفّق الدين:

– المغني، ج٣، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، د. ط، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- أ. ل. بتشر:

تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: إسكندر تاضروس، ج١، مطبعة مصر بالفجالة، د. ط، ١٩٠٠م.

- البغدادي، محيي الدين سعيد:

رأي وتعليل ونقد وتحليل، الإسلام: صحيفة إسلامية أسبوعية جامعة قرَّرتها وزارة المعارف ومجالس المديريات لجميع مدارسها بنين وبنات، العدد ٢٥، السنة السادسة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

- الترمذي، محمد بن عيسى.

سنن الترمذي، ج ٥، تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث، د. ط، د. ت.

- الجهني، مانع بن حماد.

الموسوعة الميسرة: في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٨هـ.

- الشيخ، عبد المنعم:

– الرهبانية والديرية والتصوُّف، مجلة الأزهر، المجلد الثاني والعشرون من عامها الثاني والعشرين، القاهرة: مطبعة الأزهر،د.ط، ١٩٥٠م.

- الطبري، محمد بن جرير:

– تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج١٥، مصر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع،د.ط، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- الطهطاوي، محمد عزت:

– في مقارنة الأديان: النصرانية والإسلام، مصر: مكتبة النور، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر:

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٩، مصر: المطبعة الخيرية، د.ط، ١٣٢٥هـ.

- الغزالي، محمد:

- فقه السيرة، خرَّج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط٧، ١٩٧٦م.

- الفاضلي، داود علي:

أصول المسيحية كما يصوِّرها القرآن الكريم، الرباط: مكتبة المعارف، د. ط، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، ج١، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٣م.

- الكتاب المقدَّس.

- أمين، حكيم:

- دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٦٣م، .

- تقرير الحالة الدينية في مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، د. ط، ١٩٩٥م.

جرجس، حبيب:

- أسرار الكنيسة السبعة: الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدها السبعة، مصر: مكتبة المحبة، ط٦، د. ت.

- حبيب، رؤوف:

- الرهبنة الديرية في مصر، مصر: مكتبة المحبة، د. ط، ١٩٧٨م.

- دائرة المعارف الكتابية، المجلد الرابع، دار الثقافة، د. ط، ١٩٩٢م.

- ديورانت، ويل:

- قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج٣، المجلد الثالث، ط٢، ١٩٦٤م.

- رستم، سعد:

- الفِرَق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سورية: الأوائل للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٥م.

- سعفان، كامل:

- مسيحية بلا مسيح، القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د. ط، ١٩٩٤م.

- سعيد، حبيب:

– تاريخ المسيحية: فجر المسيحية، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د. ط، د. ت.

- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:

– تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٠هـ.

- شعلان، محمود عبد السميع:

– نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام: دراسة مقارنة، ج١، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر،د. ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- شلبي، أحمد:

– مقارنة الأديان: المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، ط٦، ١٩٧٨م.

- شنودة، زكي:

– موسوعة تاريخ الأقباط، ج١، د. ن، ط٢، ١٩٦٨م.

- عاشور، سعيد عبد الفتاح:

– الرجوع إلى الله: دراسة بين الرهبانية في المسيحية والتصوُّف في الإسلام، الجديد: مجلة نصف شهرية، العدد الخامس، السنة الأولى، تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام – الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٧٢م.

– تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت: دار النهضة العربية، د. ط، د. ت.

- عبد الجليل، محمد عثمان:

– الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي، مجلة كلية الآداب بقنا، مصر، د .ط، ١٩٩٧م.

- عبد الحميد، رأفت:

– الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج٣، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د .ط، ٢٠٠١م.

- غريغوريوس:

– موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج٣، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، شركة الطباعة المصرية، د. ط، ٢٠٠٣م.

- ابن منظور، جمال الدين:

– لسان العرب، المجلد الخامس، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ط٤، ٢٠٠٥م.

- وافي، علي عبد الواحد:

– الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ط، د. ت.

- هـ. أ. ل. فشر:

– تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز اليعريني، القسم الأول، دار المعارف بمصر، ط٥، ١٩٦٩م.

- يوحنا، منسي:

– تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، د. ط، د. ت.